﴿وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠ وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١١﴾ [القصص: 10 - 11]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

الإخبار بحال من فارقهم الرّضيعُ بعد الإخبار بحال من لقيهم

لمّا كانت الآية السّابقة لبيان حال الرّضيع بعد أن التقطه آل فرعون، وصرفهم الله تعالى عن قتله إلى رعايته وتبنّيه، آملين أن يكون لهم ولدًا نافعًا مساعدًا مساندًا؛ جاءت هاتان الآيتان لبيان حال أمِّه، بعد أن ألقته في اليمّ، وفارقها إلى مصير لا تعرف عنه شيئًا، وكيف ثبّتها الله تعالى في مواجهة هذه المحنة، التي عصفت بعقلها وأفقدتها تركيزها، لدرجة أنّها أوشكت أن تُظهر للنّاس حقيقة رضيعها، ثمَّ وفّقها سبحانه إلى أن تطلب من أخته أن تأتيها بخبره وما آل إليه أمرُه.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فُؤَادُ﴾: (فأد) "أَصْلٌ صَحيحٌ يدلُّ عَلَى حُمَّى وشِدَّةِ حَرارَةٍ. مِنْ ذَلِكَ: فَأَدْتُ اللَّحْمَ: شَوَيْتُهُ. وهَذا فَئِيدٌ، أَيْ مَشْوِيٌّ... ومِمّا هوَ مِنْ قياسِ البابِ: الفُؤادُ، سُمّيَ بِذَلِكَ لِحَرارَتِه"[1]، و"الفُؤادُ كالقلب لكن يقال له: فُؤادٌ إذا اعتبر فيه معنى التَّفَؤُّدِ، أي: التّوقّد... قال تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ١١﴾ [النجم: 11]، وجمع الفؤاد: أَفْئِدَةٌ، قال: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ [إبراهيم: 37]"[2].

2) ﴿فَٰرِغًا﴾: (فرغ) "أَصْلٌ صَحيحٌ يدلُّ عَلَى خُلُوٍّ وسَعَةِ ذَرْعٍ. مِنْ ذَلِكَ الفَراغُ: خِلافُ الشُّغْلِ"[3]، قال تعالى: ﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فأد).
(2) الراغب، مفردات القرآن: (فأد).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فرغ).

ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾ [الرحمن: 31]، و"المعنى المحوريّ: خلاء الظروف ونحوها مما يشغلها من مائع ونحوه"(1)، ومنه قوله: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا﴾ [القصص: 10]، والمعنى: فَرَغَ من لبّها لِما تداخلها من الخوف، أو فارغًا من أيّ شيء إلّا من التفكير في ولدها(2).

3) ﴿لَتُبْدِى بِهِۦ﴾: (بدو) "أَصْلٌ واحِدٌ، وهوَ ظُهورُ الشَّيْءِ، يُقالُ: بَدا الشَّيْءُ يَبْدو: إذا ظَهَرَ، فَهوَ بادٍ"(3)، "والمعنى المحوريّ هو: بروزٌ بقوّة أو تجسّمٌ مع امتداد وجَوْز... وسائر ما في القرآن من التركيب هو من البروز والظهور: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: 118]"(4)، والمعنى: أن أمّ موسى أَوْشَكتْ أن تُظهِرَ خبر ولدها وتكشفه.

4) ﴿رَّبَطْنَا﴾: (ربط) "أَصْلٌ واحِدٌ يدلُّ عَلَى شَدٍّ وثَباتٍ. مِنْ ذَلِكَ رَبَطْتُ الشَّيْءَ أَرْبِطُهُ رَبْطًا، والَّذي يُشَدُّ بِهِ رِباطٌ"(5)، "وفلان رابِطُ الجأش: إذا قوي قلبه، كقوله تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [الكهف: 14]"(6)، ومعنى ﴿رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾: ثبّتناها وقوّينا قلبها بالصبر والإيمان.

5) ﴿قُصِّيهِ﴾: (قص) "أَصْلٌ صَحيحٌ يدلُّ عَلَى تَتَبُّعِ الشَّيْءِ. مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: اقْتَصَصْتُ الأَثَرَ، إذا تَتَبَّعْتَهُ"(7)، "والقَصَصُ: الأثر، قال: ﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾ [الكهف: 64]، وقوله: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾ [القصص: 11]"(8)، بمعنى: تتبّعي أثره وخبره.

6) ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ﴾: (بصر) "أَصْلانِ: أَحَدُهُما العِلْمُ بِالشَّيْءِ، يُقالُ: هوَ بَصيرٌ بِهِ. ومِنْ هَذِهِ: البَصيرَةُ... يُقالُ: بَصُرْتُ بِالشَّيْءِ: إذا صِرْتَ بِهِ بَصيرًا عالِمًا، وأَبْصَرْتُهُ: إذا رَأَيْتَهُ"(9)،"والآخر البصَر، بمعنى: (الرؤية) جاءت استعمالات التركيب في القرآن بهذا المعنى ومشتقّاته، قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: 103]، وقال أيضا: ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ﴾"(10)، والمعنى: أبصرته وشاهدته.

(1) جبل، المعجم الاشتقاقي: (فرغ).
(2) الراغب، مفردات القرآن: (فرغ).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بدو).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقي: (بدو).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ربط).
(6) الراغب، مفردات القرآن: (ربط).
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قصّ).
(8) الراغب، مفردات القرآن: (قصص).
(9) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بصر).
(10) جبل، المعجم الاشتقاقي: (بصر).

7) ﴿جُنُبٍ﴾: (جنب) "أَصْلانِ مُتَقارِبانِ أَحَدُهُما: النّاحيَةُ، والآخَرُ البُعْدُ"[1]، ومن كَوْن الجَنْب ناحية خارجيّة جاء معنى البُعد، كما في قوله: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾﴾ [الليل: 17]، وقوله: ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ﴾ أي: عن بُعْد أو عن مجانبة لها منه، فلم يعرفوا أنّها أُخته"[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

قَـلَـقٌ ولـهـفـةٌ يـزولان بتثبيت الـلـه وتـوفـيـقـه إلى تـقـصّي خبر الرضيع

توضّح الآيةُ الأولى أنّ القلق قد استَبَدَّ بأمّ موسى بعد أن ألقت رضيعها في اليمّ، والتقطه آل فرعون، وأنّ فؤادها أصبح خاليًا من التفكير في أيِّ شيء سوى التفكير في مصير ولدها من فرط دهشتها وخوفها عليه، لدرجة أنها كادت تُصرّح للناس بأنّ الذي في الصندوق هو ابنها، لولا أن قوّى اللّهُ قلبها بالثبات والصبر. وتُبَيِّنُ الآيةُ الثانيةُ أنّ الله تعالى هَدَى أمَّ موسى إلى أن تطلبَ من أخته أن تتقصّى خبره، وتعرف ما آل إليه أمرُه، ففعلت ذلك، وأخذت تشاهده عن بُعد، دون أن تُشْعِرَ أحدًا بتتبُّعِها له.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى (الواو) في صدر الآية:

بيان عظيم لطف الـلـه بـعـبـاده وقـــدرتـــه عـلـى إذلال أعدائه

الواو في قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا﴾، لعطف ما يليها على جملة: "وَقالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ..."، جيء بها وبما بعدها لبيان حال أمّ موسى بعد أن ألقت رضيعها في اليمّ، امتثالًا لأمر الله تعالى، إذ كلّ ذلك من أجزاء نبأ موسى وفرعون، ولِما يصوّره مشهد حالها من عظيم لطف الله بعباده الذين يمتثلون أوامره، ويستجيبون لتكاليفه، كما أنّه - بمفهوم المخالفة - يبرز قدرة الله على معاقبة الكافرين المستكبرين.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جنب).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي: (جنب).

دلالة التعبير بالفعل: ﴿وَأَصۡبَحَ﴾:

قلق الأهل على أبنائهم لا ينقطع ليلًا أو نهارًا

الفعل: ﴿وَأَصۡبَحَ﴾ يمكن أن يكون مستعملًا "في معنى (صار)، فاقتضى تحوّلًا من حالة إلى حالة أخرى، أي: كان فؤادها غير فارغ، فأصبح فارغًا"[1]، ويمكن أن يكون على ظاهره، فيكون دالًّا على استمرار انشغالها برضيعها، وقلقها عليه منذ أن ألقته في اليمّ ليلًا، حيث تصاعد قلقها، وتزايد خوفها لا سيّما بعد أن جرفت الأمواج الصندوق واختفى بعيدًا عن عينيها، وبعد أن وصلتها الأخبار في الصباح بأن رضيعها بين يدي فرعون وجنوده.

لطيفة التعبير بالفؤاد دون القلب:

قلب الأم يحترق لبعد أطفالها

أوثر التعبير بالفؤاد دون القلب، لدلالته على معنى التفؤّد، الذي يعني: الاحتراق والألم بسبب فراق الرضيع، وشدّة القلق على مصيره، لا سيّما بعد أن وقع بين يدي من كانوا يقتلون كل طفل، ما يعني أنّه الأنسب بتصوير حال الأمّ المُلتاعة ممّا يرادفه.

نكتة التعبير عن الرضيع باسمه الصريح:

الأبناء حاضرون في أذهان أهليهم حضورًا يستوجب ذِكرهم بأسمائهم

درج النّظم الكريم على التّعبير عن نبيِّ الله موسى ﷺ بالضّمير، بدايةً من قوله تعالى: ﴿أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ﴾ وفيما يليه، إلّا أنه عدل عن التّعبير بالضّمير إلى الاسم الظاهر هنا، فلم يقل: (وأصبح فؤاد أمه...)؛ تجاوبًا مع حالة حضور موسى في ذهن أمّه، وفراغ فؤادها من كلّ شيء إلّا من ذكره، كما يرويه الإمام الطبري عن ابن عباس وغيره من السلف الصالحين[2]، بالإضافة إلى ما سبق بيانه من أنّ مقصود النظم الكريم ذكر نبأ موسى بكلِّ تفاصيله.

معنى الفراغ في قوله: ﴿فَٰرِغٗاۖ﴾:

كلمة الفراغ تدل على خُلوٍّ وعدم امتلاء، وذلك لا يكون إلا في

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 22.
(2) ابن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن: 19/ 527.

المحسوسات، وهي هنا تحتمل معنيين، **أوّلهما:** أن يكون فؤادها فارغًا من الخوف والحزن بسبب ثقتها في وعد الله لها بردّه إليها وجعله من المرسلين، **الآخر:** أن يكون فارغًا من التفكير في كلّ شيء إلّا في رضيعها وما يمكن أن يحصل له بعد أن ألقته في اليمّ، وهو الأظهر هنا، وعلى كلا الاحتمالين لا يمنع انشغالها بالتفكير في رضيعها إيجابًا أو سلبًا.

قلب أمّ موسى بين الثقة في موعود الله وخوف الأمّ الفطريّ

بلاغة الاستعارة في كلمة: ﴿فَٰرِغًا﴾:

في التعبير بكلمة: ﴿فَٰرِغًا﴾ استعارة تصريحيّة، شُبّه فيها ترك التفكير في كلّ الأمور بالفراغ، بجامع الخلوّ في كلٍّ، ثمّ استعير الفراغ لترك التفكير على سبيل الاستعارة التصريحيَّة التبعيّة، التي صَوَّرتْ قلبَ أمِّ موسى مُجَوّفا فارغًا من كلِّ شيء، وليس فيه إلّا شيء واحد، هو رضيعها الذي دفعت به إلى اليمّ في عتمة الليل وسواده الحالك، فاجتمع عليه ظلام الصندوق، وسواد الليل، وأمواج اليمِّ... وغير ذلك ممّا يطيش بالعقل، ويَذهب باللّب، ويُنسي كلّ شيء.

تعرّض الصغار للخطر يذهب بعقل الأمّ وينسيها كل شيء

دلالة التعبير عن الخبر باسم الفاعل:

آثر النّظم الكريم التّعبير عن خبر ﴿وَأَصۡبَحَ﴾ بالاسم المشتقّ ﴿فَٰرِغًا﴾؛ لِما يفيده التعبير بالاسم من الدّلالة على الدوام والثبوت؛لأنّ اسم الفاعل يدلُّ على تمكن الفعل من صاحبه حتّى أصبح اسمًا له، ما يعني: دوام فراغ فؤاد أمّ موسى منذ ألقت ولدها في اليمّ، وعدم امتلائه بأيّ شيء من ذلك الحين سوى بالتفكير فيه إيجابًا أو سلبًا.

لا يملأ فؤاد الأمّ الفارغ سوى التفكير في أبنائها

نكتة حذف متعلّق الفراغ في ﴿فَٰرِغًا﴾:

حُذف متعلّق اسم الفاعل ﴿فَٰرِغًا﴾، لإفادة العموم والشّمول، والمعنى: فارغًا من كلِّ أنواع التّفكير سوى التّفكير في موسى، فارغًا من كلِّ الهموم إلّا من همّ موسى، فارغًا من ذكر المصاعب إلّا من المصاعب التي يمكن أن يتعرّض لها موسى، فارغًا من كلِّ الأسماء

تفكير الأمهات في أبنائهنّ يعمّ كلّ ما يخصّهم

إلّا من اسم موسى... وهكذا، فيما يعدُّ تصويرًا حيًّا ينقل ما يملأ قلب الأمّ المهمومة لفراق ولدها، المشغولة به في ليلها وصباحها.

بلاغة الكناية في لفظة ﴿فَٰرِغًا﴾:

يمكن أن يكون التّعبير بفراغ الفؤاد كنايةً عن ذهول العقل وطيش اللّب، والمقصود: أنها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طاش صوابها، وطار عقلها لما انتابها من فرط الجزع والدّهش[1]، والقلق عليه، والتّفكير فيما يمكن أن يفعله فيه عدوّه الذي كان يبحث عنه، ما يعني: "فراغ فؤادها من الأمور المُسْتَكِنَّة، وتوزّع فكرها في كلِّ وادٍ"[2].

الـهـمّ والـغـمّ لفقد المحبوب يشغل صاحبه عن كلّ شيء

سبب فصل جملة: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾:

جاءت جملة: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾ مفصولةً عن جملة: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا﴾؛ لأنّها بمثابة البيان والتّعليل لها، ما يعني أنّها تنزّل منها منزلة التّابع من المتبوع، فيما يعرف بكمال الاتّصال. ويمكن أن يكون سبب الفصل كون الثّانية تجيب عن سؤال أثارته الأولى عن كيفيّة كون فؤادها فارغًا، فيما يسمّى شبه كمال الاتصال.

إذا اضـطـرب فؤاد العبد فقد يسلك مسلكًا يضرّه

معنى ﴿إِن﴾ في جملة: ﴿إِن كَادَتْ﴾:

﴿إِن﴾ في جملة: ﴿إِن كَادَتْ﴾ هي المخفّفة من الثّقيلة، واسمها ضمير الشّأن المحذوف، وجملة ﴿كَادَتْ﴾ خبرها، والأَوْلَى إهمالُها وإلغاءُ عملها[3]، وسواء أكانت عاملةً أم ملغاةً فهي تُسهِم بموقعها وجَرْسِها المكوّن من متحرّك فساكن في تصوير اضطراب فؤاد أمّ موسى وسرعة خفقان قلبها وتزايد ضرباته النّاتج عن تشتّت الفكر وطيشان اللّب.

تصوير اضطراب الـفـؤاد وسرعة خفقانه

(1) الزمخشري، الكشاف: 3/ 395.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 5/ 468.
(3) الدرويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 283.

دلالة التعبير بالفعل (كادَ):

عـنـدمـا تحيط الأخطار بالأبناء تتشتّت أذهـان الأمهات

تعبير القرآن بالفعل: (كادَ) الموضوع للمقاربة يُبَيّن حالة الشّتات الفكريّ والذّهول العقليّ الذي كانت عليه أمّ موسى بعد فراق ولدها، والذي جعلها على وشك الحديث إلى الآخرين بما يكشف حقيقة الرّضيع المُلقى في الصّندوق، ويعرِّف النّاسَ أنّه ابنُها، وفيه إبراز لعظيم لطف الله بها، وحسن رعايته لها ولرضيعها.

معنى (اللام) في قوله تعالى: ﴿لَتُبْدِى﴾:

وصول أمّ موسى إلى نهاية الصّبر على فراق وليدها

اللام في جملة: ﴿لَتُبْدِى﴾ هي الفارقة بين إنْ المخففة وإن النافية، وقيل: إنّها بمعنى إلّا، و﴿إِن﴾ التي في أول الجملة نافية[1]، فيكون في الجملة قصرٌ بالاستثناء بعد النّفي، وهو قصرٌ ادّعائيٌّ، وأيًّا كان نوعها فهي تشعر بتوكيد الفعل الدّاخلة عليه، ما يعني: وصول أمِّ موسى إلى مرحلة العزم والإصرار على إظهار حقيقة أمومتها للرّضيع دون التّفكير في أيّ شيء آخر.

دلالة التعبير بالإبداء دون الإظهار:

الإبـــداء يعني إظـهـار الحقيقة إظـهـارًا لا لُبْسَ فيه ولا غموض

تعبير النّظم بالفعل: ﴿لَتُبْدِى﴾ الموضوع للظهور بقوّة فيه دلالة على أنّها كانت ستُظهِر حقيقة الرضيع إظهارًا لا لُبْسَ فيه ولا غموض، مهما كانت النتائج المترتّبة عليه، وكأنّ صراخَها بعبارة: أدركوا ولدي، أو يا بُنَيّاه، أو إنّه ابني، وضعتُه في صندوق وألقيتُه في اليمّ غايةٌ تُريحها، وتَذْهبُ بفراغ فؤادها، ويا لَهُ من تعبير يصوّر بصدق، وينقل بواقعيّة حالة تشتّت الفكر وذهاب العقل، التي كانت عليها أمّ موسى!

دلالة المضارعة في: ﴿لَتُبْدِى﴾:

تجدُّدُ العزم على إظـهـار الحقيقة مـع كـلّ خطر ومع كلّ نبأ

والتعبير بالفعل ﴿لَتُبْدِى﴾ مضارعًا يدلُّ على استحضار الصّورة؛ لأنّها تصوّر حالتها أمام القارىء الكريم كأنّه رأي عيْن، كما يدلُّ الفعل المضارع على تجدّد عزمها إظهار حقيقة الرضيع، وتعريف

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 289.

الناس بأمومتها له مع كلّ خطر يتعرّض له، ومع كل نبأ يأتيها عنه، فعندما جرفه الموج كادت تصرخ وتقول: وا بُنَيّاه، وعندما جاءها خبر التقاط آل فرعون له كادت تُشْعِر أهل مصر بأنّه رضيعها، وعندما قيل: إنّ فرعون قد تَبَنّاه كادت تقول للناس: إنّه ولدي أنا وليس ابن أحد غيري... وهكذا[1].

دلالة تعدية ﴿لَتُبْدِى﴾ إلى الضمير بالباء:

الباء حرف جرّ يفيد الإلصاق، وهو أصل معانيه[2]، والضمير في كلمة ﴿بِهِۦ﴾ يعود إلى خبر موسى وحقيقته، والسرّ في تعدية فعل الإبداء إلى ضمير خبر موسى بحرف الإلصاق في قوله: ﴿لَتُبْدِى بِهِۦ﴾ مع إمكان التعبير بدونه "إمّا تأكيدُ لصوق المفعول بفعله، والأصل: لتبديه، وإما تضمينُ ﴿لَتُبْدِى﴾ معنى (تبوح) وهو أحسن"[3] كما يرى ابن عاشور، وأيًّا كان المعنى ففي التعبير بهذا الحرف نوع من التصوير الذي يبرز انفصال شيء عن شيء كان ملتصقًا به، ليحصل بانفصاله تَميُّزُه وظهوره، ما يعني أن أمّ موسى كانت عازمة على أن تظهر حقيقة الرضيع واضحةً جليّةً، من غير لُبْسٍ ولا غموض، كما هو شأن الحقائق دائمًا.

شأن الحقائق دائما الظهور والوضوح

معنى ﴿لَوْلَآ﴾ في ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا﴾:

﴿لَوْلَآ﴾ حرف امتناع لوجود، والتعبير به هنا يدلُّ على أنَّ تثبيت الله تعالى لأمّ موسى حال بينها وبين إظهار أمومتها للطفل الموضوع في الصندوق، لما لإظهار ذلك من آثار وخيمة وعواقب سيّئة، إذ لو كان الإبداء خيرًا لما حيل بينها وبينه.

رعاية الله تحول بين الإنسان والمهالك

دلالة التعبير بالربط في: ﴿رَّبَطْنَا﴾:

الرّبط معناه: الشدّ والإحكام، وهو لا يكون إلّا في الأشياء الحسّيّة،

(1) ابن جرير، جامع البيان عن تأويل القرآن: 19/ 530.
(2) المرادي، الجنى الداني، ص: 4.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 23.

والمقصود به هنا: تثبيت قلب أمّ موسى بالاطمئنان والصّبر، وعصمتها من قول: إنّ موسى ولدُها[1]، وردّ المعاني الصالحة التي أودعها الله تعالى في قلبها[2].

تـوفـيـق الـلـه لأولـيـائـه بتثبيتهم وقت الشّدائد

وآثر التّعبيرُ أن يجيء على الأسلوب المصدريّ في جملة: ﴿أَن رَّبَطْنَا﴾، للدلالة على شدّة تثبيت الله تعالى لأمّ موسى على صعوبة الحال التي كانت فيها.

بلاغة الاستعارة في الفعل ﴿رَّبَطْنَا﴾:

رَبْـطُ الـلـه عـلـى قـلـوب عـبـاده سبب اسـتـقـرارهـم وهدوئهم

في التعبير بالفعل: ﴿رَّبَطْنَا﴾ استعارة تصريحيّة، شُبِّه فيها تثبيت قلب أمّ موسى بالاطمئنان والصّبر بالرّبط والعقد القويّ على شيء متحرك، بجامع القرار وعدم الانفلات في كلّ، ثمّ استُعير الربط للتّثبيت على سبيل الاستعارة التصريحيّة التَّبَعيَّة، التي تُبرِزُ أثرَ تثبيت الله في هدوء أمّ موسى واستقرار فؤادها، وانصرافها عن إعلان حقيقة ولدها، واطمئنانها إلى قدر الله، والاستسلام لأمره الذي لا يأتي إلّا بالخير.

بلاغة الكناية في قوله ﴿رَّبَطْنَا﴾:

الـربـط عـلـى القلوب يجعلها مستبشرةً مع شدّة الخطر

يمكن أن يكون التّعبير بالرّبط على القلب كنايةً عن قرار قلب أمّ موسى واطمئنانه، واستبشاره بوعد الله سبحانه بردّ ولدها إليها، وجعله من المرسلين، ومظهر ذلك ودليله عزوفُها عمّا كادت أن تفعله من إظهار أمره، والإخبار بأمومتها له، ويكون المعنى: "شددنا على قلبها بالصبر والثبات بتذكير ما سبق من الوعد، وهو رَدُّهُ إليها وجَعْلُه من المرسلين"[3].

نكتة إسناد الفعل إلى ضمير العظمة:

تثبيت الله تعالى ليس كأيّ تثبيت

التعبير بفعل الربط ماضيًا مسندًا إلى ضمير العظمة في قوله:

(1) ابن جرير، جامع البيان عن تأويل القرآن: 19/ 530.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 5/ 468.
(3) إسماعيل حقي، روح البيان: 6/ 280.

﴿رَّبَطۡنَا﴾ يدلُّ على حصول التثبيت حصولًا يليق بجلال الله وكماله واقتداره، وأنّه ليس كأيّ تثبيت، إنّه تثبيت يذهب معه فراغ الفؤاد، وطيشان العقل، تثبيت يملأ القلب بالرضا والاستبشار، ويتحوّل به الشخص إلى مؤمن كامل الإيمان، بجانب ما يفيده من رعاية الله لصاحبه، وكريم لطفه به.

لطيفة تعدية ﴿رَّبَطۡنَا﴾ بـ: ﴿عَلَىٰ﴾:

في تعدية فعل الربط إلى القلب بحرف الاستعلاء: ﴿عَلَىٰ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا﴾ ترشيح لاستعارة الربط لمعنى التثبيت، لأنّه يُحيل التثبيت من شيء معنويّ إلى شيء حسّيّ يحيط القلب من جميع جوانبه كأنّه يُحصّنه، ويُساعده على الاستقرار والثبات، ويمنع خروج أيّ شيء منه، ما يعني: تمكّن التثبيت من القلب، وقوّة محافظته عليه، وشدّة تأثيره فيه.

تثبيت الله تعالى يُحصّن قلب المؤمن ويقوّيه

معنى (اللام) في ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾:

اللام في جملة: ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ هي لام التّعليل، التي تدلّ على أنّ علة تثبيتها والربط على قلبها أن تكون من المؤمنين الواثقين فيما أوحى الله تعالى به إليها عندما أمرها أن تلقي رضيعها في اليمّ.

يريد الله لعباده الخير والصلاح بكلّ ما قدّره عليهم

دلالة التعبير بفعل التكوين: ﴿لِتَكُونَ﴾:

التعبير بالفعل: ﴿لِتَكُونَ﴾ يدلُّ - بمادته - على أنّ علّة الربط على قلبها أن يتغلغل الإيمان في فؤادها، وأن يتعمق في مكوّناتها بحيث يصير كالغريزة[1] التي فُطرت عليها، والسّجيّة التي خُلقت بها، فيلازمها ملازمةً لا انفكاك لها، ويرتبط بها ارتباطًا لا فراق بعده، ما يعني أنّها ستخرج من هذه المحنة وهذا الابتلاء أشدّ عودًا، وأقوى إيمانًا، وأعظم تحصينًا، وهذا من عظيم فضل الله عليها وعلى عباده.

من فضل الله على عباده أن يُخرجهم من المِحَن أقوى إيمانًا وأشدَّ تحصينًا

(1) البقاعي، نظم الدرر: 5/ 468.

معنى ﴿مِنَ﴾ في ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿مِنَ﴾ في جملة: ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يمكن أن تكون بيانيّة، والمعنى: أنّ الله تعالى ربط على قلبها لتكون مؤمنةً به، واثقةً في إنجاز وعده لها. ويمكن أن تكون تبعيضيَّة، والمعنى: أنّ الله تعالى تفضّل عليها بالتثبيت ليُدخِلَها في زمرة المؤمنين به، الواثقين في وعوده، دخول الجزء في الكلّ، فتحظى بالرّعاية في الدّنيا، والنّعيم في الآخرة.

مَـنْ ربـط الله عـلى قـلبه كـان مـن المؤمـنين لا محالة

دلالة التعبير بالإيمان في ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾:

التعبير بوصف: ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الموضوع لإذعان النّفس للحقّ على سبيل التصديق، باجتماع ثلاثة أشياء: تحقيق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح[1] يدلُّ على أنّها ستتحوَّل من فراغ الفؤاد، وذهول العقل إلى ما يقتضيه وصف الإيمان من الإذعان لوحي الله، وتصديق القلب بوعده، والثّقة الكاملة في تحقّقه، والاستبشار والفرح بوقوعه وحصوله، "فيكونَ فرحُها وابتهاجُها مِنَ الوثوقِ بوَعدِ الله، وهو: أنّهُ حافظُه ورادُّه إليها، ولا يكونَ فرحُها مِن تَبَنّي فِرعون؛ فإنّ هذا الفَرَحَ سَخْطةٌ مِنَ الله تعالى"[2].

الإيـمـان بالله يـمـلأ الـقـلـوب ثـقـةً في وعـوده وفرحًا وابتهاجًا بحصولها

معنى (أل) في ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾:

أفاد التّعريف هنا الجنسيّة الاستغراقيّة، أي من جنس المؤمنين، ويمكن أن يكون التّعريف للعهد الذّهنيّ، أي: المؤمنين المعروفين بالصّبر والثّبات.

لطيفة التعبير بـ: ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وليس (المؤمنات):

كان مقتضى الظاهر أن يعبر النظم بجمع الإناث، فيقال: (ولتكون من المؤمنات)، ولكنّ العدول إلى التعبير بجمع المذكر:

الإيـمـان بالله يحيل الأشخاص الـضـعـفـاء إلى أقوياء أشداء

(1) الراغب، مفردات القرآن: (أمن).
(2) الطيبي، حاشية الطيبي على الكشاف: 12/ 19.

﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ يمكن أن يكون من باب التغليب؛ جريًا على عادة العرب في البيان عند الحديث عمّا يخصّ النساء، سترًا لهنّ وصيانةً. ويمكن أن يكون إشارةً إلى أنّها بلغت في هذا الموقف الصعب مبلغ الرجال، صبرًا وجَلَدًا وتحمّلًا، على الرغم من كونها أُمًّا يتحرّق قلبها، ويتألّم فؤادها، ويطيش عقلها، لكنّها اطمأنّت لوعد الله ووثقت فيه، فأمسكت عن الكلام بلسانها، واحتفظت بالحقيقة في نفسها، وهو أمر شديد الصعوبة على النساء، لما فُطرن عليه من الرقة والبوح بما يشكل خطرًا على الأبناء بصفة عامّة، وعلى الرُّضَّع منهم بصفة خاصّة.

معنى (الواو) في جملة: ﴿وَقَالَتۡ﴾:

الواو في جملة: ﴿وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ﴾ تعطف قولها لبنتها على جملة: ﴿وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ﴾، إذ الكلّ داخل في بيان حال الأمّ بعد أن ألقت رضيعها في اليمّ، فهو من باب سرد أحداث القصّة، فبعد الحديث عن فراغِ فؤادها ورَبْطِ الله على قلبها، يأتي الحديث عمّا اتخَذَتْهُ من خطوات لتطمئنّ على رضيعها، وتعرف ما آل إليه أمره، تجاوبًا مع الفطرة التي فطرها الله تعالى عليها، "والظاهر أنّ هذا القول وقع منها بعد أن أصبح فؤادها فارغًا، إن كانت لم تعرف مكانه إذ ذاك فظاهر، وإن كانت قد عرفته فتَتَبَّعتِ الخبر لتعرف هل قتلوه أم لا؟ ولينكشف ما هو عليه من الحال"[1].

الأمـهـات لا يسترحن حتى يعرفن ما حدث لأولادهنّ

معنى (اللام) في قوله: ﴿لِأُخۡتِهِۦ﴾:

اللام في ﴿لِأُخۡتِهِۦ﴾ حرف جرّ يفيد الاختصاص، وهو يدلُّ على أنّها خَصّت أخته دون غيرها بالقول، لأنّها أكثر اطلاعًا على حال أمّها، وأعظم شعورًا بها، وتعرف ما أصابها منذ ألقت ابنها في

البنات أكثر اطلاعًا على أحوال الأمّهات، وأعظم شعورًا بهنّ

(1) الآلوسي، روح المعاني: 10/ 259.

اليمّ؛ ما يعني أنّها ستكون أحرص من غيرها على فعل ما يطمئنها، ويهدّئ من روعها، بجانب ما في تخصيصها بالقول من زيادة الحيطة، وأخذ الحذر.

نكتة التعبير بـ: ﴿لِأُخْتِهِۦ﴾ مضافة:

"التَّعبيرُ عنها بأخوَّته ﷺ دونَ أنْ يقال: لبنتِها، للتَّصريحِ بمدار المحبَّةِ الموجبةِ للامتثالِ بالأمرِ"[1]، والحرص على القيام به بطريقة تحقّق النفع والفائدة لأخيها ولأمّها على السواء. وفي إضافتها إلى الضمير الموصول العائد لموسى ما يُشعر بالقرب والاحتضان الذي يكون من الأخت لأخيها، لا سيّما في فترة الرضاع، والواقع يشهد أن كثيرًا من الأخوات يقمن بدور الأمّهات إذا لزم الأمر وتطلّب الموقف.

الأخواتُ محبّاتٌ لإخوانهنّ حريصاتٌ عليهم

دلالة التعبير بالقصّ في الفعل: ﴿قُصِّيهِ﴾:

في التعبير بفعل القصّ - الموضوع لتتبّع الأثر والخبر - دلالة على أنَّ أمَّ موسى طلبت من أخته أمرين، **أحدهما:** أن تتتبّع أثر الصندوق، وتعرف أين ذُهِب بأخيها واستقرّ، **والآخر:** أن تعرف خبر الرضيع، وما آل إليه أمره، ثمّ تعود لتخبرها وتقصّ عليها ما توصّلت إليه، ففي ذلك القصِّ ما يريحها ويعوّضها عن فراقه.

سماع أخبار الأبناء يريح الأمهات ويعوضهن عن فراقهم

غرض الأمر في: ﴿قُصِّيهِ﴾:

والغرض من الأمر في قولها: ﴿قُصِّيهِ﴾ على ظاهره في إفادة الوجوب لوقوعه من الأمّ لابنتها، ولرغبتها الملحّة في تتبّع أخباره، فضلًا عن إفادته الرجاء والأمل في أن تساعدها للتَّعَرُّفِ على حال أخيها ومعرفة ما يحيط به، وفيم يفكر مَنِ التقطوا الصندوق وعرفوا ما بداخله.

معنى (الفاء) في جملة: ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ﴾:

الفاء في جملة: ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ﴾ فصيحة، وهي التي تفصح عن

الحذف في البيان القرآني يعبر عن الواقع العملي

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 222.

كلام محذوف، تقديره: فقصّت أثره فبَصُرت به، وهي تدلّ على أنّ أخت موسى قامت بأمور كثيرة، وأفعال عديدة، بعد أن أمرتها أمّها، حتى وصلت إلى أخيها وأبصرته، وأنها كانت أثناء فعل ذلك مُتخَفّيَةً[1] غير معروفة، ولا ملحوظة، ما يعني أنّ طَيَّ هذه الجمل وحذْفَها يتماشى مع تخفّيها أثناء القيام بهذه الأعمال.

دلالة التعبير بفعل الإبصار:

النجاح في المهمّات يحتاج إلى ذكاء وعمل

عبّر البيان الكريم بفعل الإبصار المسند إلى ضمير أخت موسى في قوله ﴿فَبَصُرَتْ﴾، والموضوع للنّظر الجامع بين الرّؤية والعلم والحاصل بنوع من التّحديق[2]؛ للدّلالة على أنّها ظلّت تحدّق في تتبّع الصندوق، وتنتقل خلف أثره من مكان إلى مكان، وتحصل على معلومات من هنا وهناك، حتّى وصلت إلى مكان أخيها، ورَأَتْه عن جُنُبٍ بعينيها "عِنْدَ قَوْمٍ مِنْ حاشِيَةِ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ يَتَطَلَّبونَ لَهُ امْرَأَةً تُرْضِعُهُ، حينَ لَمْ يَقْبَلِ المَراضِعَ"[3]، وفي التّعبير إلماحٌ إلى ذكائها، والمجهود الذي بذلَتْه، حتّى كلّل الله سعيها بالنّجاح.

لطيفة تعدية ﴿فَبَصُرَتْ﴾ بالباء:

كلّما كانت الغاية عظيمة كان المجهود عظيما

الباء في ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ﴾ للسّببيّة، والضمير الموصول في محلّ نصب مفعول به، يرجع إلى نبيّ الله موسى، "والباء الدّاخلة على ضمير المفعول للدّلالة على شدّة العناية برؤية المرئيّ حتّى كأنّه صار باصرًا بسببه. ويمكن أن تكون الباء لتأكيد الفعل، فتفيد زيادة مبالغة في معناه"[4]، ما يعني أنّ حرصها على رؤية أخيها كان باعثًا لها على المبالغة في التدقيق والتحديق، حتّى استطاعت الوصول إليه، والاطمئنان عليه، دون أن يشعر بذلك أحد من النّاس كافّة.

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 290.
(2) الراغب، مفردات القرآن: (بصر).
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 290.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 24.

كما يمكن أن يكون فعل الإبصار قد تضمّن فعلًا آخر يتعدّى بالباء، على تقدير: فعلمت به، أو فظفرت به.

معنى ﴿عَن﴾ في القيد ﴿عَن جُنُبٍ﴾:

﴿عَن﴾ حرف جَرٍّ يفيد المجاوزة، وهو أشهر معانيه[1]، وفي التّعبير به دلالة على أنّها كانت تحذر الاقتراب الشّديد من الرّضيع، وتتجاوز المكان الذي يوجد فيه، حتّى لا يلحظ أحدٌ نظرها إليه، أو لهفتها عليه، فيربط بينها وبينه، وينكشف أمرهما.

الحذر لا يتعارض مع الإيمان بالقدر

دلالة التعبير بمفردة: ﴿جُنُبٍ﴾ دون (بُعْدٍ):

كلمة: ﴿جُنُبٍ﴾ صفة لموصوف محذوف يُفهم من السّياق، تقديره: مكان جنب، أي: بعيد، وقيل بمعنى: جانب، لأنّها كانت تمشي على الشّط، وقيل: كأنّه من الأضداد، فإنّه يكون بمعنى القريب - أيضًا - كالجار الجنب. وقيل على جانب.. وقيل: النّظر عن جنب، أن تنظر إلى الشّيء كأنّك لا تريده[2]، وهي مع حرف الجرّ قبلها في محلّ نصب حال من الضمير في: ﴿فَبَصُرَتْ﴾، والتّعبير بها يؤكد أنّ أخت موسى كانت في غاية الحذر، فهي ترمقه من مكان بعيد، بحيث تنظر إليه "مُزْوَرَّةً مُتجانفةً مُخاتلةً"[3]، لئلّا يُعلم أنّها منه بسبيل[4]، ولو قيل: (عَنْ بُعْدٍ) لفُهم أنها كانت في مكان بعيد لم تستطع إبصاره منه، ولكان ثَمَّ تناقضٌ مع التّعبير بالفعل ﴿فَبَصُرَتْ﴾، الدّال على أنّها رأته بعينيها.

المؤمن لا يُعطي أعداءه فرصة لإيذائه أو التّنكيل به

معنى (الواو) في جملة: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾:

الواو في جملة: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ للحال، والجملة التي تليها في محل نصب، جيء بها لبيان حال قوم فرعون أثناء قيام أخت موسى بتقصّي أثره، ومعرفة خبره.

(1) المرادي، الجنى الداني، ص: 41.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 290.
(3) الزمخشري، الكشاف: 3/ 396.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 351.

نكتة تقديم الضمير: (هُمْ) على الخبر:

الضمير: (هُمْ) في جملة الحال يعود إلى: آل فرعون، وقُدِّم على الخبر الفعليّ ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾ لتقوية عدم شعورهم بأخت موسى أثناء قيامها بتقصّي أمره، وتأكيد عدم انتباههم لها، وأنّ ذلك راجع إلى حِذْقِها وذكائها وتوفيقِ اللّه لها في تنفيذ مهمّة التّقصّي والتّتبّع.

حسن التّصرّف مـردُّهُ إلى عـون الله وتوفيقه

معنى ﴿لَا﴾ في جملة ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾:

جملة: ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾ في محلّ رفع خبر الضمير: (هُمْ)، جيء فيها بالخبر الفعلي منفيًّا بحرف النّفي المختوم بألف المدّ ﴿لَا﴾؛ للدّلالة على أنّهم بلغوا في عدم الشّعور بأخت موسى أثناء قيامها بتتبّع خبر أخيها مبلغًا لا يمكنهم معه معرفتها وإدراك أنّها أخته بأيّ حال من الأحوال.

حفظ الله للعبد يحول بينه وبين أن يُكشَف

نكتة التّعبير عن المسند بالفعل المضارع:

جيء بالمسند المنفيّ: ﴿يَشْعُرُونَ﴾ فعلًا مضارعًا؛ لما يفيده من تجدّد عدم شعورهم واستمراره مدّةَ التّقصّي وما بعدها، ولما يُفيده كذلك من استحضار الحالة الماضية كأنّها حاضرة ماثلة، يبدو فيها القوم مشغولين بالرضيع، حريصين على حياته، لاهين عن معرفة المحيطين به، المراقبين له، بينما تقف أخته ناظرةً إليه تارةً وإلى القوم تارةً أخرى، في مشهد يثير العجب، ويزيد الإيمان باللّه الذي سخّر فرعون وهامان وقومهما وجنودهما لخدمة عدوّهم وإبقائه على قيد الحياة.

الله تعالى قادر عـلى تـسخير الأعداء لتحقيق مراده

سر إسناد فعل الشعور المنفي إلى ضمير:

أَسند النظمُ الكريم فعل الشّعور المنفيّ إلى واو الجماعة في قوله ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾، للدّلالة على أنّ الجميع كانوا متساوين في عدم الشّعور بأخت موسى، وعدم إدراك ما تقوم به، لا فرق في ذلك بين فرعون وهامان وجنودهما، ولا فرق فيه كذلك بين الرّجال والنّساء والكبار والصغار.

صـرف عـقـول الـجـمـيـع عـن إدراك ما حولهم كـصـرف عـقـل واحد

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الفؤاد والقلب:

من الناحية اللفظيّة: الأول مشتقّ من الثلاثي: (فأد)، والثاني مشتق من الثلاثي: (قلب)، ومن الناحية المعنويّة: يعبّر القرآن بالفؤاد عند الإلماح إلى ما في القلب من معاناة أو حزن، وعند الإشارة إلى وظيفة إنضاج الرأي أو الفكرة أو الاتّجاه، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا﴾، وقوله: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾﴾ [النجم: 11]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: 36].

الـفـؤاد يطلق عـلى الـعـقـل والقلب الحزين، والقلب ملحوظ فـيـه مـعـنـى التّقلب

ويعبّر البيان القرآنيّ بالقلب عند الحديث عن السّيطرة على أعضاء البدن، وبيان السّبب في الهداية أو الغواية، وذكر معنى التّقلب، كما في قوله: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [البقرة: 7]، وقوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ﴾ [المائدة: 13]، وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: 2].

الفراغ والخُلوّ:

من الناحية اللفظيّة: الأول مشتقّ من الثلاثيّ: (فرغ)، والثاني مشتقّ من الثلاثيّ: (خلا)، ومن الناحية المعنويّة: أنّ الأوّل يدلُّ على خلاف الشّغل كما سبق بيانه، ويكثر التّعبير به في الأمور المعنويّة، كما في قوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾ [الرحمن: 31]، وقوله: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ﴾، وقوله: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ [البقرة: 250]. أما الخلوّ فهو أيضًا يدلُّ على فراغ لكنّ التّعبير يكثر فيما هو حسّيّ، فقولنا "يَخْلو يُسْتَعْمل في ما لا يكون هَيْئَةً يُشاهد عليها كالطُّعوم والروائح وما يجرى مجْراها؛ لِأَن الشَّيْء يَخْلو من الشَّيْء

يُعبَّر بالفراغ في الأمور المعنويّة، والخُلوِّ في الأمور الحسّيّة

إذا كانَ كالظّرف لَهُ، ولِهَذا يُقال: خلا البَيْت من فلان ومن كَذا"[1]، ومنه: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ [البقرة: 141]، و﴿إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [فاطر: 24]، وقوله: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم﴾ [البقرة: 214].

الإبداء والإظهار:

الإبـــداء يكـون عـن غـير قصـد، والإظـهـار يكون بـقـصـد وبـغـير قصد

من الناحية اللفظيّة: الأول مشتقّ من الثلاثيّ: (بدا)، والثاني مشتقّ من الثلاثيّ: (ظهر)، ومن الناحية المعنويّة: أنّ الإبداء يعني: الإظهار، ويعبّر به: في الحسّيّ وغير الحسّيّ، تقول: بدا لي الشَّيْء إذا ظهر، وتقول بدا لي في الشَّيْء، إذا ظهر لَك فيهِ رَأْي لم يكن ظاهرًا لَك[2]. كما أنّه يكون عن غير قصد في الأغلب الأعم: تَقول بدا البرق، وبدا الصُّبْح، وبدت الشَّمْس، وبدا لي في الشَّيْء، لِأَنَّك لم تقصد للبُدوّ.

أما الظُّهور والإظهار فإنّه يكون في الأمور الحسّيّة غالبًا، كما يكون بِقصد وبِغير قصد، تَقول: استتر فلان ثمَّ ظهر، ويدلُّ هَذا على قصد للظهور، ويُقال ظهر أَمر فلان، إن لم يقْصد لذَلِك[3].

الربط والتسكين:

الربط يُعبَّر به عـن الـتـقـويـة والـــشـــدّ، والتسكين يُعبَّر بـه عـن مـجـرد التهدئة

من الناحية اللفظية: الأول مشتقّ من الثلاثيّ: (ربط)، والثاني مشتقّ من الثلاثيّ: (سكن)، ومن الناحية المعنويّة: في الربط معنى التّقوية والشّد والتّثبيت، كما في قوله تعالى: ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ [الأنفال: 11]، وقوله ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [الكهف: 14]، وقوله: ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾. أما التّسكين ففيه معنى التّهدئة لكونه مأخوذًا من (سكن) الموضوع لثبوت الشّيء بعد تحرّكه[4].

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 152.
(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 60.
(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 287.
(4) الراغب، مفردات القرآن: (سكن).

القصّ والتّتَبُّع:

القصّ يكون لاقتفاء الأثر والخبر، والتّتبّع يكون لاقتفاء الأثر

من الناحية اللفظيّة: الأوّل مشتقّ من الثلاثيّ: (قصص)، والثاني مشتقّ من الثلاثيّ: (تبع)، ومن الناحية المعنويّة: الأوّل موضوع لاقتفاء الأثر والخبر، كما في قوله: ﴿فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ٦٤﴾ [الكهف: 64]، وقوله: ﴿وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ﴾، وقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ﴾ [آل عمران: 62]. والتّتبّع يكون لاقتفاء الأثر، وذلك تارةً بالجسم، وتارةً بالارتسام والائتمار[1]، مثل قوله: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ﴾ [طه: 123]، وقوله: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [الأعراف: 3]، ويعبّر به عن اللحاق، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَتۡبَعُوهُم مُّشۡرِقِينَ ٦٠﴾ [الشعراء: 60].

(1) الراغب، مفردات القرآن: (تبع).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأربعون،
سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 40 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-90-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 40 : المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-90-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9294238 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»